

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 3 - سورة الغاشية - تفسير الآيات 21-26 أهمية التذكير بوعد الله سبحانه ووعده.

01-02-1985

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### في القرآن الكريم ترابط بين مقاطع السورة مقطعاً مقطعاً :

أيها الأخوة الكرام، وصلنا في الدرس الماضي في سورة الغاشية إلى قوله تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾

بيئتُ لكم في الدرس الماضي أنّ القرآن الكريم أحكمت آياته ثمّ فصلت فلا بدّ من ترابط بين مقاطع السورة مقطعاً مقطعاً، وذكرت وقتها أنّ الله سبحانه وتعالى سير في المقطع الأول أحوال أهل النار، وفي المقطع الثاني أحوال أهل الجنة، وبيّن في المقطع الثالث أنّك إذا أردت أن تفوز بالجنة وتنجو من عذاب النار فعليك بالإيمان، وطريق الإيمان التّفكّر في آيات الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى ضرب بعض الآيات كمثلاً لا على سبيل الحصر بل على سبيل المثال، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى

الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

المقطّع الأخير، ما علاقته بالمقاطع الأولى؟ لو أنّ أهل الجنة كما وصّفهم الله عز وجل يسعدون إلى أبد الأبد، وأهل النار كما وصّفهم الله عز وجل يشقّون إلى أبد الأبد، وأنّ الآيات مبنوثة في كلّ مكان، في أنفسكم، وفي طعامكم، وفي شرابكم، وفي النباتات، وفي الحيوانات الأهلّية وغير الأهلّية، وفي الجبال والبحار، وفي السهول والصحارى، وفي الطيور والأسماك، إذا كان أهل الجنة كذلك والآيات كذلك وأهل النار كذلك وهذا الإنسان لا يفكّر فيها فماذا يجب عليك أن تفعله أنت؟!

فَعُلْ (ذَكِّر) يستلزم أنّ في النفس شيئاً كامناً إذا ذكّرت به الإنسان يذكّره وهو الفطرة :

قال تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾

الإنسان لا يفكر، هل تتزكُّه على حاله؟ لا بُدَّ من التذكير، ما معنى فَذَكَرَ؟! حينما تقرأ صفحةً من كتاب قد لا تذكرها فإذا جاءك صديقٌ أو زميلٌ ودَكَرَكَ بها تذكرُها، لا بُدَّ من أن تكون قد قرأتها، ففعل (ذَكَرَ) يستلزم أن في النَّفْسِ شيئاً كامناً، إذا ذَكَرَتْ به الإنسان يذكرُها فلولا هذا الشيء الكامن، ما معنى قوله تعالى:

### ﴿ فَذَكَرَ ﴾

لم يقل الله تعالى: (عَلِمَ) إنما قال: (ذَكَرَ)، معنى ذلك أن شيئاً كامناً جئت أنت أيها النبي فَذَكَرْتَهُ به فَذَكَرَهُ، ما هو هذا الشيء الكامن؟ الفِطْرَةُ، حينما خلق الله الإنسان خلقه بِفِطْرَةٍ لا تَرْتَاخُ إلا إذا عَرَفْتَهُ، مثلاً السَّمَكَةُ طبيعتها وشكلها وزعانفها وأكياسُ الهواء فيها، بُنِيَةُ السَّمَكَةِ من ألفها إلى يائها مُهَيَّأَةٌ لِتَكُونَ في الماء فإذا وَضَعْتَهَا في الماء تَرْتَاخُ، وإذا حَرَجْتَ منه تَحَرَّكَتْ واضْطَرَبَتْ وماتت فالإنسان إذا عرف الله عز وجل عاد إلى فِطْرَتِهِ، ربنا عز وجل خلق الإنسان ضعيفاً فإذا عرف الله عز وجل إطمأنَّ وإذا انْقَطَعَ عنه اضْطَرَبَ فحياةُ الذين لا يستقيمون على أمر الله مُضْطَرِبَةٌ، وحياتهم قَلَقَةٌ وفيها نَعَصُ قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[ سورة طه: 124 ]

### بعض علامات الإيمان :

إذا كلمة (فَذَكَرَ) معناها يوجد بالنفس شيءٌ كامناً، وهو الفِطْرَةُ السليمة التي فطرَ الناس عليها، وهو تلك الاستعدادات والإمكانات والخصائص التي إن عرفت الله عز وجل تفاعلت وعملت وأبدعت، فعندما يكون الإنسان غير مُستقيم وبعيداً عن الله عز وجل تُصْبِحُ حياته قَلَقَةً، وفيها اضطرابٌ، ورُدود فعله عنيفةٌ جداً، وغير منطقي، يُحِبُّ أن يأخذ ما له وما ليس له، يخافُه الناس، يكرهُه الناس، فإذا عرف الله عز وجل وهو ضعيفٌ إطمأنت نفسه بِقُوَّةِ الله، وإذا عرف الله عز وجل وهو الهلوع توازنت نفسه بِعَدَالَةِ الله، إذا ربنا عز وجل لما قال لِنَبِيِّهِ الكريم: فَذَكَرْ، كان ذلك دليلاً أن في النفس البشرية شيئاً كامناً مُهَيَّأً للإيمان، ومن كان صادقاً يعرف ما نقول! قال ابن عطاء الله الإسكندري: لا يعرف ما نقول إلا من اقتفى أثر الرسول، من آمن إيماناً صحيحاً يقول لك: كنت في جَهَنَّمِ، وقد أصبَحْتُ في الجَنَّةِ، يقول لك: ليس في الأرض أسعدَ مِنِّي! يقول لك: أنا مُطمئنٌ، لا يرى إلا الله ولا يخشى إلا الله، يُصْبِحُ الله عليه طمأنينةً وسكينةً وتوازناً وهدوءاً وجلماً وبصيرةً وحِكْمَةً وفِرَاسَةً، هذه علامات المؤمن، لذلك من علامات الإيمان أن المؤمن يكرهُ أن يعود في الكُفْرِ كما يكرهُ الرَّجُلُ أن يُلقَى في النار، هذه بعضُ علامات الإيمان، فالنبي الكريم الله سبحانه وتعالى قال له: فَذَكَرْ فالله خلق العباد كلَّهم على فِطْرَةٍ سليمةٍ وعلى بُنْيَةِ واحدةٍ، لا فرق بينهم، ولا فرق بين أبيضهم وأسودهم، ولا غنيهم وفقيرهم، كلُّهم يخاف، فإذا عرف الله

اطْمَأَنَّ، كُلُّهُمْ لَهُ قَلْبٌ هَلُوغٌ فَإِذَا عَرَفَ اللهُ أَصْبَحَ جَسُوراً، كُلُّهُمْ يُحِبُّ الْمَادَّةَ فَإِذَا عَرَفَ اللهُ زَهَدًا فِيمَا سِوَاهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً\* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً\* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً\* إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[ سورة المعارج: 19-21 ]

**إِذَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مُوجَّهًا إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ قِمَّةُ الْعِلْمِ فَهُوَ مُوجَّهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّبَعِيَّةِ :**

كلمة (فَذَكِّرْ) تعني أن شيناً في النَّفْسِ مُسْتَقَرٌّ، مَهْمَةٌ النَّبِيِّ أَنْ يَكْتَشِفَ عَنْهُ، أَنْ يُفَجِّرَهُ كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ، فِي الْإِنْسَانِ أَشْيَاءٌ كَامِنَةٌ، الْبَيْئَةُ الرَّاقِيَّةُ تُفَجِّرُهَا:

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾

قبل أن نصل إلى كلمة (إنما أنت مُذَكِّرٌ)، الأمرُ لِمَنْ؟ بِحَسَبِ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْأَمْرُ مُوجَّهٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ يَا مُحَمَّدَ ذَكِّرْ، يَا دَاوُدَ ذَكِّرْ عِبَادِي بِإِنْعَامِي عَلَيْهِمْ فَإِنَّ النَّفْسَ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ عُلَمَاءَ التَّفْسِيرِ: اسْتِنَاداً إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

**((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))**

[مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَأْمُوراً أَنْ يُذَكِّرَ، فَتَحْنُ أَيْضاً مَأْمُورُونَ أَنْ نُذَكِّرَ، فَإِذَا فَهَمْنَا أَنَّ الْفِعْلَ ذَكَّرَ أَنَّهُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، النَّبِيُّ قِمَّةُ الْعِلْمِ، مَا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، الْآنَ تَجِدُ شَخْصاً يَأْخُذُ خَمْسِينَ حَدِيثاً وَيَتَعَمَّقُ فِيهَا فَإِذَا بِهِ يَأْخُذُ دُكْتُورَاهُ بِالشَّرِيعَةِ، إِذَا فَهَمْتَ كَلَامَ النَّبِيِّ فَانْتَ تَحْتَلُّ أَكْبَرَ مَكَانَةٍ عِلْمِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ هُوَ النَّبِيُّ؟ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ عَالَةٌ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مُوجَّهًا إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ قِمَّةُ الْعِلْمِ فَهُوَ مُوجَّهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّبَعِيَّةِ، إِذَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُذَكِّرَ، إِذَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مُوجَّهًا إِلَيْكَ أَبِهَا الْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ تَفْهَمَ كِتَابَ اللهِ وَهُوَ أَصْلُ الْعِلْمِ، وَأَنْ تَكُونَ عَالِماً، وَيَنْبَغِي أَنْ تَفْهَمَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ وَهِيَ أَعْلَى تَفْسِيرٍ وَفَهْمٍ لِكَلَامِ اللهِ، فَإِذَا فَهَمْتَ آيَةً وَذَاكَرْتَ بِهَا فِي الْبَيْتِ وَتَأَثَّرْتَ بِهَا، أَنْفَلَهَا إِلَى الْآخَرِينَ وَلَا تَجْعَلْ حَدِيثَكَ فِي أُمُورٍ سَخِيفَةٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا وَدَنِيَّهَا"، رَاقِبْ نَفْسَكَ! مَا الْمَوْضُوعَاتُ الَّتِي تَخُوضُهَا مَعَ أَصْدِقَائِكَ وَزُمَلَانِكَ وَجِيرَانِكَ وَمَعَ أَرْبَابِ مَصْلَحَتِكَ، فِي بَيْتِكَ مَعَ أَوْلَادِكَ وَزَوْجِكَ.

**((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ وَصَلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَامُوا عَنْ أَنْتَنَ**

**مِنْ جِيفَةٍ))**

[الطَّبَالَسِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَالضِّيَاءُ عَنْ جَابِرٍ]

## كَلِمَةٌ (فَذَكِّرْ) إِذَا وُجِّهَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ تَنْطَوِي عَلَى دَعْوَةِ لِلتَّعَلُّمِ وَهُوَ غَيْرُ الْاسْتِمَاعِ :

كَلِمَةٌ (فَذَكِّرْ) تَنْطَوِي إِذَا وُجِّهَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى دَعْوَةِ لِلتَّعَلُّمِ وَهُوَ غَيْرُ الْاسْتِمَاعِ، قَدْ يَأْتِي رَجُلٌ إِلَى مَجْلَسِ الْعِلْمِ وَيَسْتَمِعُ إِلَى الدَّرْسِ وَيَخْرُجُ وَنَفْسُهُ مُمْتَلِنَةٌ بِهَذَا الدَّرْسِ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ بِرَبِّكَ: مَاذَا تَكَلَّمَ الْمُدْرَسُ؟ هَلْ تَذَكَّرَ آيَةً وَاحِدَةً أَوْ تَوْجِيهاً وَاحِداً؟ مَا الَّذِي اسْتَفَدْتَهُ؟ إِنْ كُنْتَ تَسْتَمِعُ الْعِلْمَ وَلَا تَحْفَظُهُ وَلَا تُرَكِّزُهُ وَلَا تَتَعَمَّقُ فِي فَهْمِهِ فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَمَّقَ فِيهِ وَتَنْقُلَهُ لِلْغَيْرِ؟! فَالذِّكْرُ الَّذِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْأَسَاسِ مُوجِبَةٌ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ:

**((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))**

[مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

إِذَا هِيَ أَيْضاً مُوجِبَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ فَالْمُؤْمِنُ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُذَكَّرَ وَأَصْلُ الْعِلْمِ كَلَامُ اللَّهِ، وَالْأَصْلُ الثَّانِي سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ، أَعْلَى فَهْمٍ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَدَقُّ تَفْسِيرٍ لِهَذَا الْكِتَابِ، الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْأَمْرِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوَّلًا، وَكُلٌّ مِنْ أَمْرٍ بِهِ ثَانِيًا، لِذَلِكَ قَدْ تُسْأَلُ هَذَا السُّؤَالُ: أَنْتَ كَمْ رَجُلًا؟ تَقُولُ: مَا هَذَا السُّؤَالُ؟! أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، نَقُولُ لَكَ: إِنْ هَدَيْتَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ رَجُلَانِ، وَإِنْ هَدَيْتَ رَجُلَيْنِ فَأَنْتَ اثْنَانِ، وَإِنْ هَدَيْتَ ثَلَاثَةً فَأَنْتَ ثَلَاثَةٌ، وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً، بِهَذَا الْعُمُرِ الْمَدِيدِ كَمَنْ مِنْ إِنْسَانٍ اتَّجَهَ فِي اتِّجَاهِكَ وَتَأَثَّرَ بِأَفْكَارِكَ وَبِأَخْلَاقِكَ وَبِقِيَمِكَ، أَقْرَبَ النَّاسِ أَوْلَادَكَ وَرَوْجَتَكَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

**(( خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ ))**

[الترمذي عن عائشة]

**((لأن يودب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم له بصاع))**

[العسكري في الأمثال عن جابر بن سمرة]

خَيْرُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَوَلَدُهُ، (فَذَكِّرْ)! هَلْ دَكَّرْتَ أَوْلَادَكَ؟! هَلْ دَكَّرْتَ رَوْجَتَكَ؟ وَمَا الْمَوْضُوعَاتُ الَّتِي تَخُوضُهَا مَعَ رَوْجَتِكَ فِي الطَّعَامِ، وَفِي السَّهْرَةِ، عِنْدَ الْاسْتِيقَاطِ، وَعِنْدَ النَّوْمِ، دُنْيَا، أَثَاثُ الْمَنْزَلِ، مَشَاكِلُ الْجِيرَانِ، فُلَانٌ وَعِلَانٌ، فَذَكِّرْ لِلنَّبِيِّ أَوَّلًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ ثَانِيًا، فَهَذَا الْأَمْرُ مُوجِبَةٌ إِلَيْنَا أَيْضًا. مَنْ الَّذِي يُذَكِّرُ؟ كُلُّ إِنْسَانٍ، هَلْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا إِنْسَانٌ أَبْعَدُ عَنِ الدِّينِ مِنَ الَّذِي قَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى، وَالَّذِي قَالَ: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي! وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

**﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \*فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾**

[سورة طه: 43]

## حُجْمُكَ عِنْدَ اللَّهِ بِحُجْمٍ مِنْ اهْتَدَاؤِكَ عَلَى يَدَيْكَ :

هذا الكلام له أبعاد وهو أن كلَّ إنسان له إمكانيَّةُ الهدى بما فيهم فرعون فلا تياَس من الناس، الإمام مالك رضي الله عنه رأى رجلاً في الطريق ملقى على قارعة الطريق وزبد الخمر على شفتَيْه ويقول: الله، هذا الإمام الكريم أبى وكبُرَ عليه أن يخرج هذا الاسم من فمٍ مخمور! القِصَّةُ مُطَوَّلَةٌ فما إن مَسَحَ فَمَهُ وأكْرَمَهُ وأخذهُ إلى البيت، عالجَه بما يستحقّ فلما أوى إلى فراشه رأى في المنام أن الله سبحانه وتعالى قال له: يا مالك، طَهَّرْتَ فَمَهُ مِنْ أَجْلِنَا فَطَهَّرْنَا قَلْبَهُ مِنْ أَجْلِكَ، دَهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ صَبَاحاً، رَأَى رَجُلًا يَبْكِي فِي صَلَاتِهِ وَلَمْ يَأْلَفْ هَذَا الْوَجْهَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ يَا أَخِي؟! قَالَ: إِنَّ الَّذِي هَدَانِي أَخْبَرَكَ بِحَالِي! لَا تَيَأَسُ مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَيَأَسُ مِنْ شَارِبِ الْخَمْرِ ذَكْرُهُ، وَكَذَا إِنْ كَانَ أَكْلًا لِلرَّبِّ، كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ إِمْكَانِيَّةُ الْهُدَى بِمَا فِيهِمْ فِرْعَوْنُ، لَكِنْ بِالْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِالْقَسْوَةِ! قَالَ أَحَدُهُمْ لِلْآخَرِ أَرِيدُ أَنْ أَنْصَحَكَ بِالْقَسْوَةِ، فَقَالَ الْآخَرُ: وَلِمَ الْقَسْوَةُ؟! لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي أَرْسَلَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ، وَقَالَ لَهُ:

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

[سورة طه: 43]

حُجْمُكَ عِنْدَ اللَّهِ بِحُجْمٍ مِنْ اهْتَدَاؤِكَ عَلَى يَدَيْكَ، وَمَا أَحَدَثَ رَجُلٌ أَحْأَ فِي اللَّهِ إِلَّا أَحَدَثَ اللَّهُ لَهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ وَالْكَلامِ لَا يُوَثِّرُ، الْفَعْلُ هُوَ الَّذِي يُوَثِّرُ، قَدِّمَ خِدْمَاتِكَ لِلنَّاسِ، عَاوَنَهُمْ فِي شُؤُونِهِمْ، قَدِّمَ لَهُمْ خِبْرَاتِكَ، أَعْطَهُمْ مِنْ مَالِكَ أَوْ أَقْرَضَهُمْ إِذَا اضْطَرَّ الْأَمْرُ، قَدِّمَ لَهُمْ شَيْئاً مِنْ خِبْرَاتِكَ فِي الْحَيَاةِ، عِنْدَئِذٍ إِذَا ذَكَرْتَهُمْ يَذْكُرُونَ وَقَدْ يَبْكُونَ وَيَتَأَثَّرُونَ، الْكلامِ وَحْدَهُ لَا يَسَاوِي شَيْئاً كَلِمَةً بِكلامِ، لَكِنْ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ يَحاولُ أَنْ يَبْذُلَ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ حَتَّى يَسْتَمِيلَ قُلُوبَ النَّاسِ، يَجِبُ أَنْ تَفْتَحَ قَلْبَ أَخِيكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ عَقْلَهُ، افْتَحْ قَلْبَهُ بِالْإِحْسَانِ ثُمَّ افْتَحْ عَقْلَهُ بِالْحَقَائِقِ:

﴿ فَذَكِّرْ ﴾

أَنْتَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْآيَةِ وَمَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنَى بِالتَّذْكِيرِ.

## التُّؤَدَةُ خَيْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ :

كَلِمَةُ (ذَكِّرْ) تَعْنِي أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ فَطْرَةً كَامِلَةً كَمَا أَنَّ السَّمَكَةَ لَهَا كُلُّ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ فِي الْمَاءِ، فَإِذَا وَضَعْتَهَا فِي الْمَاءِ اسْتَقَرَّتْ وَارْتاحَتْ وَسُرَّتْ، فَإِذَا أَخْرَجْتَهَا مِنَ الْمَاءِ اضْطَرَبَتْ وَمَاتَتْ، فَحِينَئِذٍ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ذَكِّرْ)، يَعْنِي فِي الْإِنْسَانِ فَطْرَةٌ سَلِيمَةٌ فَإِذَا أُيْقِظَتْ كَوَامِنًا وَذَكَرْتَهُ بِأَصْلِهِ وَعَرَفْتَهُ بِرَبِّهِ عَادَ إِلَى فَطْرَتِهِ فَسَعِدَ سَعَادَةً كَبِيرًا، الْأَمْرُ مَوْجَّهٌ إِلَى النَّبِيِّ أَوَّلًا وَإِلَيْكُمْ بِالتَّبَعِيَّةِ، مَنْ يُذَكِّرُ؟ كُلُّ إِنْسَانٍ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، كَيْفَ نُذَكِّرُ؟ ذَكَرَ مِنَ الثَّلَاثَةِ الْمُضْعَفِ،

مثلاً غَلَقَ الباب لكن غَلَقَ الباب أَرَصَدَهُ، كسر العود أما كَسَرَ العود أي بالغ في كسره، قطع اللَّحْم أما قَطَعَ اللَّحْم بالغ في النَفْطِيع، مَرَّقَ الورق جعلها قِطْعاً صغيرة، فالفِعْل الثلاثي إذا ضَعَفْنَا عَيْنَهُ يُفِيدُ المُبَالِغَةَ، فَرَبُّنَا عز وجل قال: (فَذَكِّرْ) أي أَكْثِرْ من الذِّكْرِ، لا إِسْرَافَ في التَّنْذِيرِ والخير ولا خير في الإِسْرَافِ، التَّنُودَةُ خَيْرٌ في كُلِّ شَيْءٍ إلا في عَمَلِ الآخِرَةِ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

[ سورة الأحزاب: 41 ]

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[ سورة آل عمران: 102 ]

### التذكير يكون في كل وقت :

قال تعالى:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

[ سورة الحج: 78 ]

ذَكَرَ صباحاً ومساءً ولَيْلاً ونهاراً، وفي أيام الرِّخَاءِ وفي أيام الشِّدَّةِ، وفي البُحْبُوحَةِ وفي الصِّحَّةِ وفي المرض، هذه الشِّدَّةُ تعني المُبَالِغَةَ في التَّنْذِيرِ من الذي تُذَكِّرُ؟ ومن يُذَكِّرُ؟ وكيف تُذَكِّرُ؟ ما موضوعات التَّنْذِيرِ، تذكيرُ الإنسان بأصله، قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾

[ سورة يس: 77 ]

ذَكَرَهُ بَأَنَّ الجِسْمَ وهذه المكانة وهذه القُوَّةُ وهذا المال شيءٌ من الله به عليك، ألم يأتِ عليك حينٌ من الدَّهْرِ لم تَكُنْ شيئاً مذكوراً؟ كُلُّ مَنْأ له تاريخٌ ميلاد، لو قَرَضْنَا أَنَّ أحداً منَّا مولودٌ سنة ألفٍ وتسعمئة وخمس وثلاثين، سنة ألفٍ وتسعمئة وثلاثين، من يعرفك؟ أنت لا شيء؟ طَيِّب، سنة ألفين وخمسمئة! ذَكَرِي، إن كنت ممن عرف الله عز وجل قد تَبَقِيَ ذِكْرَاك في القلوب، وإلا فلا، مرَّةً سألتُ طلابي فقلتُ لهم: من يذُكِّرُ لي اسمَ عَنِيِّ عَائِشِ فِي الشَّامِ سنة ألفٍ وثمانمئة وخميسٍ وثمانين؟ فَكَّرُوا وَفَكَّرُوا حَتَّى عَجَزُوا عن الجواب، فقلتُ لهم: وأنا مثلُكم لا أعرف.

يا بُنَيَّ ماتَ خُدَامُ المالِ وهم أحياءُ والعلماءُ باقونَ ما بَقِيَ الدَّهرُ، أعيانهم مَفْقُودَةٌ وأمثالهم في القلوب موجودة، إذْا الموضوعات، ذَكَرَهُ بِأَصْلِهِ لِمِ التَّكْبِيرِ، ذَكَرَهُ بِمَصِيرِهِ، كَيْفَ سَيَكُونُ تَحْتَ الثَّرَى، يا ابن آدم إنَّكَ تَسِيرُ عَلَى ظَهْرِي، وَسَوْفَ أَضْمُكَ إِلَى بَطْنِي، الأَرْضُ القَائِلَةُ، ذَكَرَهُ بِآلَاءِ اللَّهِ فالإنسانُ مُحاطٌ بِآياتٍ مُذْهِلَةٍ، لَيْسَتْ الأَيَاتُ التي حَوْلَهُ بُرْهَاناً مُقْنِعاً، لكنها برهان قاطع على عظمة الله، الماء يعطيك درساً، من جعله عذباً فَرَاتاً وكان من قَبْلُ مِلْحاً أَجَاجاً؟ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من نصب الجبال وأقام السهول وَفَنَّتِ التُّرْبَةَ وجعلها ممتلئة بالأحياء الدقيقة كي ينبت النبات؟ من جعل الماء يتمدّد إذا تجمّد كي يعين على تشكيل التربة؟ من جعل البحار ومن جعل القطبين والصحارى والسهول؟ من خلق النبات؟ من أعطانا مليون نوع من السمك ومن صمّم آلاف الأنواع من الطيور، وبتّ فيها من كل دابة؟ ذَكَرَهُم بِآلَاءِ اللَّهِ وبأصلهم كي يتواضعوا وبمصيرهم كي يخافوا، وَذَكَرَهُم بِآلَاءِ اللَّهِ كي يعظّموه وَذَكَرَهُم بِنِعْمَةِ اللَّهِ كي يحبّوه، يا داود ذَكَرَ عِبَادِي بِإِنْعَامِي عَلَيْهِمْ فَإِنَّ النُّفُوسَ قَدْ جُبِلَتْ عَلَى حَبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، ذَكَرَهُم بِالْمِثَانَةِ، فَكُلْ عَشْرِينَ ثَانِيَةً يَنْزِلُ مِنْ كَلِمَتِيهِ نَقْطَةٌ إِلَى المِثَانَةِ وَلَوْلَاها لاحتاج الإنسان إلى فوط طوال النهار، ولأتعبته فأين كرامتك؟ إن كانت للإنسان رائحة قبيحة؟ وإفراغ المِثَانَةِ؛ هو أن ربنا عز وجل جعل لها عَضَلَاتٍ ضاغطة فإذا أردت أن تُفْرغَهَا أَفْرَغْتَهَا فِي دَقِيقَةٍ أَوْ نَصْفِهَا، وَلَوْلَا هَذِهِ العَضَلَاتُ لاحتجبت إلى عشر دقائق كي تُفْرغَهَا، وَمَنْ مَنَحَهَا أَنْ تَمْنَعُ كُلَّ رَائِحَةٍ كَرِيهَةٍ تَخْرُجُ مِنَ المُسْتَقِيمِ! مَنْ أَعْطَاكَ السَّمْعَ والبصر وهذه الذاكرة والقدرة على المُحَاكَمَةِ، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَاحُوا مُضِيًّا وَلَا يُرْجَعُونَ ﴾

[سورة يس: 67]

رجل دخل عليه ابنه فقال له: مَنْ أَنْتَ؟! فَقَدَ ذَاكِرْتُهُ، الإمكانات الفكرية هل هي قليلة؟ هذه المفاصل والعَضَلَاتُ والعِظَامُ، وَمَنْ الَّذِي جَعَلَ عَضَلَاتِ الحَوْضِ يَرْتَكِزُ عَلَيْهِ الفِخْدُ؟ وَمَنْ جَعَلَ لِعِظَمِ الفِخْدِ عُنُقاً؟ وَمَنْ جَعَلَ هَذِهِ القِطْعَةَ فِي الفِخْدِ أَقْسَى شَيْءٍ فِي الإنسان؟ هذه الأخيرة تحتمل وزن مئتين وخمسين كيلو، فالإنسان لو وُضِعَ فَوْقَهُ خَمْسَمِئَةَ كِيلُو فَإِنَّ العَضَلَاتُ تَحْتَمِلُهَا! ذَكَرَهُم بِآلَاءِ اللَّهِ، وبهذا الطُّفْلِ الَّذِي أَمَامَكَ، كَانَ مِنْ نَظْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَأَعْطَاهُ هَذِهِ الصُّورَةَ الحَسَنَةَ، وَاللَّهْمَةُ هَذَا الكَلَامِ اللُّطِيفِ، علماء نفس الأطفال اكتشفوا صفات للطفولة منها البراءة، والصفاء، والانفعال.

إذا رأيت واحداً أشرك بالله فذكره بقول الله تعالى:

﴿ وَبِاللّهِ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة هود: 123]

ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة الأنفال: 17]

وَذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الفتح: 10]

وَذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا نَأْمَ لَا تَنْظُرُونَ ﴾

[سورة هود: 55]

وَذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[سورة الزمر: 63]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

[سورة الزمر: 66]

تَذَكِيرٌ بِالتَّوْحِيدِ، إِذَا رَأَيْتَهُ مَانِلًا إِلَى الدُّنْيَا ذَكَرَهُ بِالمَوْتِ، رَأَيْتَهُ لَيْسَ مُحِبًّا لِلَّهِ ذَكَرَهُ بِآلَاءِ اللَّهِ، ذَكَرَهُ بِعَذَابِ اللَّهِ وَبِالْأَمْرَاضِ الوَبِيلَةِ، وَالفَقْرِ، وَالشَّقَاقِ الرَّوْجِيِّ، هُنَاكَ مَصَائِبٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ.

**حجم النبي الكريم أنه يذكر الناس بالله فقط :**

إِذَا أَصْبَحَ التَّذَكِيرُ مِنَ الفِطْرَةِ، وَمُوجَّهٌ، وَعَرَفْتَ مَنْ يَجِبُ أَنْ تُذَكِّرَ؟ وَكَيْفَ؟ وَمَنْ يُذَكِّرُ؟ وَمَا المَوْضُوعُ الَّذِي تُذَكِّرُ بِهِ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾

أي أن النبي مذكّر وقد يكون بيده الأمر، مذكّر وبيده الأمر، مذكّر وبيده النفع والضّر، أمّا حينما قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾

أي أنت مذكّر فقط، هذا هو القصر، أي أن حجم النبي الكريم أنه يذكّر الناس بالله فقط، فإذا أحبّوه وعاملوه شعروا بالسعادة، هذا كل ما في الأمر، أما أن تقول: وليّ من الأولياء يصلي العصر في مكّة، والعشاء في المدينة، والغداة في الأقصى، وهو في دمشق، لم لم يهاجر النبي هكذا؟ سئل الجنيد: من وليّ الله، أهو الذي يمشي على وجه الماء أم هو الذي يطير في الهواء؟ قال: لا هذا ولا ذلك، وليّ الله تجده عند الحلال والحرام، وقافاً عند الحرام ملتزماً بالحلال، هذه هي الولاية، أمّا أنه تُنسب لأشخاص أعمال خارقة للعادات فوق إمكانات البشر وتظن أن الولاية هكذا، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[ سورة الكهف: 110 ]

**سيد الخلق وحيب الحق مذكّر فإن أصبح حجمه أكثر من هذا صار تأليهاً :**

اللهم إنما بشر ينسى كما ينسى البشر، قال تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[ سورة الأعراف: 188 ]

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[ سورة الأنعام: 15 ]

قال تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[ سورة الأنعام: 50 ]

هذا نبي يخاف الله إن عصاه عذاب يوم عظيم، ولا يعلم الغيب، ولا يملك لنا ولا لنفسه نفعاً ولا ضرراً، قال تعالى:

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

[ سورة الأحقاف:9 ]

سيد الخلق وحبیب الحق ولكن الفعل بيد الله عز وجل، إنما أنت مذکر هذا حجمك، أكثر من هذا صار تأليهاً.

### حجم المرشد :

غلاة النصارى قالوا: المسيح ابن الله، وكل فئة تُغالي وتتجاوز الحد الذي نصَّ الله عليه تنسب بعض صفات الألوهية للبشر، فذكر إنما أنت مذکر فقط، لذلك قال الصوفيون: لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله ومن لا يدلُّك على الله مقاله، هذا هو حجم المرشد، وأكثر من هذا لا يوجد، يذكرك بالله فإذا حصل احتكاك ومعاملة تحبه، لأنه ملتزم ومطبّق، أولياء أمتي إذا رُؤوا ذُكر الله بهم، فإذا رأيت النبي الكريم في المنام تبقى شهراً غارقاً في السعادة، فهذه النفس اشتبكت مع نفسٍ عالية جداً تتلقى من الله تجليات عالية، هذه بعض معاني الشفاعة، اتصال النفس برسول الله في حياته وبعد مماته، هذا بعض معاني ما يحدث للمؤمن من سرور، فإذا جلس في مجلس علم فالنبي الكريم جاءه سيدنا الصديق مع سيدنا حنظلة، فقال سيدنا حنظلة: نكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن والجنة كهاتين فإذا عافسنا أهلنا نسينا، سيدنا الصديق كان رقيقاً وحكيماً قال له: أنا كذلك يا أخي، انطلق بنا إلى رسول الله وهالك نص الحديث:

((عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيتُ أَبُوبَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٌ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَ اللَّهُ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٌ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذُّخْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ))

[ مسلم عن حنظلة الأسدي ]

انتهى الكلام أن المؤمن في حضرة النبي الكريم يحس بمشاعر لا يحسها وهو بعيد عنه، هذه وظيفة من وظائف النبي والدعاة إلى الله.

### أعلى مقام للإنسان أن يكون عبداً لله :

علماء أمتي كأبناء بني إسرائيل، هذه حال المؤمن، إذا اقتربت منه شعرت بالسعادة وإذا استمعت إليه يملوك علماً، أما أنه يمشي على الماء أو طار في الهواء، لا يعلم الغيب إلا الله، الولي من تجده عند الحلال والحرام هو كالبشر وليس فوق البشر، وليس عنده إمكانيات فوق البشر، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[ سورة الكهف: 110 ]

**(( إنما أنا بشرٌ أَرْضَى كما يَرْضَى البشر وأغضب كما يغضب البشر ))**

[مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

قال تعالى: قل لا أعلم الغيب، إذا جمعت هذه الآيات تعرف حجم النبي عليه الصلاة والسلام، إنما أنا عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أعلى مقام للإنسان أن يكون عبداً لله، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

[ سورة المائدة: 77 ]

### الإنسان مُحَيَّرٌ ومُسْتَقَلٌّ في اختياره عن النبي :

حتى لا يقع الإنسان بمبالغات ويعطيك للأنبياء والأولياء حجماً أكبر بكثير من حجمهم الحقيقي، ربنا عز وجل قال:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾

حتى الإنسان مُحَيَّرٌ، ومُسْتَقَلٌّ في اختياره عن النبي لذلك قال الله عز وجل:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[ سورة البقرة: 272 ]

قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

[ سورة القصص: 56 ]

ذاك نظر بشخص فاهتدى! هذه ليست لرسول الله فما بالك لمن هو دونه إذا أقنعه وجاء بأدلة منطقية، ذكره بالجنة وحرره من النار، عمل محاكمة فاهتدى، لو أن النبي يملكها لنظر إلى عمه أبي لهب فاهتدى قال تعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ\* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ\* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ\* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ\* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

[ سورة المسد: 1-5 ]

آيات قرآنية وأحاديث شريفة تؤكد أن الإنسان مُحَيَّر :

(( يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار - أنظر إلى دقة البلاغة النبوية - أنا لا أغني عنك من الله شيئاً ، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ، من يبطن به عمله لم يسرع به نسبه ))

[ أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد والدارمي عن أبي هريرة ]

(( حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَأَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً يَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِّبِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ\* أَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾

هذا يعني أن الإنسان مُحَيَّر، قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

[ سورة القصص: 56 ]

قال تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾

[ سورة الكهف: 29 ]

## التلازم بين الكُفر وبين أن تُعرضَ عن الحق :

الله عز وجل طمأن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ليس عليك إلا التذكير، وعليك أن تبتين لهم كلَّ شيء حتى يختاروا الهداية، أما إذا ظننت أنك ستجبرهم على شيء فهذا ليس بإمكانك، ولا يعني أنه مخير ليس له تبعه لعمله، هذا اهتدى وذلك ما اهتدى حر، لكي لا تقع في هذا الوهم تذكر قوله تعالى:

﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾

لكن من تولى وكفر لا يعفى من المسؤولية، هناك سوف يلقي تبعه عمله إلا من تولى وكفر، هناك تفسيرات لهذه الآية:

﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾

من تولى أي من أدار ظهره للحق، هذا هو الكُفر، وهناك تلازم بين الكُفر وبين أن تُعرضَ عن الحق، أحياناً يُلقى المُدرِّس درساً قيمياً والطالب مشغولٌ برسم خطوط سخيفة على دفتره، فهذا الطالب مُوقن بوجود المُدرِّس صوتاً وصورةً وحجماً، ومع ذلك يُعتبر هذا الطالب كافراً بالمُدرِّس، ليس معنى كافر أنه أنكر وجوده ولكن زاهدٌ بعلمه ومُعرضٌ عنه، فصار معنى الكُفر الزُهد بما عند الله، والإعراض عنه تعالى لذلك ربنا عز وجل قال:

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ ﴾

[ سورة التوبة: 54 ]

الكُفر هو الإعراض وهو أن تُديرَ وجهك للشَّرع ولِعقاب الله ووعيده ووعده وِجنته:

يُصلي ويُنفق من ماله ومع ذلك وصَّفه الله عز وجل بأنهم كفروا بالله ورسوله، فالكُفر هو الإعراض، وهو أن تُديرَ وجهك للشَّرع ولِعقاب الله ووعيده ووعده وِجنته، لذلك:

﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ \* إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾

ولكن من تولى وكفر لا ينجو من تبعه عمله، (إلا) هنا بمعنى بيد، بيد أنه من تولى وكفر:

﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾

هناك عذابٌ أليم، وهناك عذابٌ عظيم، وهناك عذابٌ مهينٌ، وآخر إلى أبد الأبد، وهناك مسٌ بالعذاب، أحياناً يضغ الإنسان تياراً على يده فإذا به يمس قال تعالى:

﴿ أَنِّي مَسِّيَ الضَّرَّ ﴾

المسٌ غير العذاب المُستمر، فالإنسان الذي لا يخاف الله أحمقٌ وغبيٌ وعديمٌ الإدراك، الله سبحانه وتعالى قال:

﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ \* فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾

كَلَّمَا فَكَّرْتَ فِي عَذَابِ اللَّهِ فَهُوَ أَكْبَرُ :

قلتُ اليوم بالخطبة كلمة: أنك لا تجدُ مُسْلِماً يقرأ القرآن إلا ويقول بعد الانتهاء من قراءته: صدق الله العظيم، ولكنك إذا تَفَحَّصْتَ عَمَلَهُ لم تجدْهُ مُصَدِّقاً لِكِتَابِ اللَّهِ! لماذا؟ لأنه يعمل للدنيا ويرتكب المعاصي والموبقات، وكان الحياة هي كُلُّ شيء، ولا شيء بعد الحياة، لا حساب ولا عذاب ولا سؤال ولا جهنم، يعيش في الدنيا على أهوائه، يُعْطِي لِنَفْسِهِ هَوَاهَا وَيَتَمَنَّى على الله الأمانى، هذا الإنسان بالذات عَمَلُهُ لا يُصَدِّقُ كِتَابَ اللَّهِ، قد يكون في لسانه مُصَدِّقاً ولكن عَمَلُهُ لا يُصَدِّقُ، لذلك ربنا عز وجل قال:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ \* إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ \* فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾

ما هي العذابات في الدنيا؟ الإنسان يَفْقِدُ سَمْعَهُ وَعَقْلَهُ، ويدخلُ إلى مُسْتَشْفَى الأمراض العَقْلِيَّةِ، وهذا يَفْقِدُ أهله، وذاك مرضُ عُضَالٍ، والآخر يَفْتَقِرُ يشتهي رَغِيفَ الخُبْزِ، هذا حدث في الحروب السابقة، يكون له ابنٌ عاق، كُلُّ هذه العذابات معقولة ومقبولة ومُحْتَمَلَةٌ، لكن ربنا عز وجل قال:

﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ \* فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾

كَلَّمَا فَكَّرْتَ فِي عَذَابِ اللَّهِ فَهُوَ أَكْبَرُ، لذلك قد يُطِلُّ الإنسان حين مَوْتِهِ يُفْتَحُ له بعضُ أبواب النار، فيقول: لم أرَ خيراً قط! كُلُّ هذا العُمرُ المديد الذي أمضاهُ في النعيم والمباهج والمَسْرَاتِ والطعام الساخن، حينما يُفْتَحُ له بعضُ أبواب النار يقول: لم أرَ خيراً قط في حياتي، وإذا فُتِحَ باب من أبواب الجنة للمؤمن يقول: لم أرَ شراً قط، تكون حياته كلها عذاباً وأمراضاً، هذه الحياة الأبدية التي لا نهاية لها يُسْتَعْنَى عنها ويُزهد بها ويُستخفُّ بحقوقها، ولا يستخفُّ بها إلا أحمق، كلام الله خالق الكون الذي خلقنا من نطفة ولم تكن شيئاً يقول:

﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ \* فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾

ليس في القرآن الكريم آياتٌ أشدُّ وعيداً من هذه الآيات :

قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

والله إذا عاملت إنساناً قاسياً جداً وأبصرت عقابه الأليم فإنك تخاف من مَعْصِيَتِهِ، إذا كان لك خِبرَةٌ مع إنسانٍ قاسٍ لا يَرْحَمُ إذا قال فَعَلَ، فلا تُعَانِدِ من إذا قال فَعَلَ وتعصِي أمره، وتُطِيعُهُ طاعةً عَمِيَاءَ، فلو قال لك: اللبِن أسود، قُلْ له: أسود فاجم! لأنك رأيت عذابه الأليم، فإذا كُنْتَ تُعَامِلُ إنساناً من جِدَّتِكَ ومن بني آدم وسوف يموت وهو بيد الله عز وجل، إذا حَذَّرَكَ وأَنْذَرَكَ وَبَطَّشَ تُطِيعُهُ طاعةً عَمِيَاءَ، ألا يَسْتَحِقُّ الله

عز وجل خالقُ هذا الكونِ وخالقُ الشمسِ والقمرِ، وخالقُ البحارِ والجبالِ، ألا يستحقُّ اللهُ عز وجل أن تُطيعه؟! وأن تُصدِّقَ كتابه؟! وهذا الكونُ كُلُّه شهادةٌ له، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ\*فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ\*إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ\*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

ليس في القرآن الكريم آياتٌ أشدُّ وعيداً من هذه الآيات، أحياناً يكون عندك ضيوف فتُشيرُ لابنك أن تَهْدَأ! ثم تُحاسبُه حساباً يسيراً، قال تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ\*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

سوف يعود الناس إلى الله عز وجل ويُسألون عن كُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ وعن كُلِّ دِرْهَمٍ اُكْتَسَبُوهُ وفيما أنفقوه، وعن شبابهم فيما أبلَّوه، وعن علمهم ماذا عملوا به:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ\*ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

الحساب على الله عز وجل فإذا كان الإنسانُ في مَحَلٍّ وخالف تعليماتِ مُعَيَّنَةٍ، ثم يُوَحِّدُ إلى الجِهَةِ التي خالف تعليماتها ويُعَرِّضُ عليه شريطُ صورة وصوتٍ بِكُلِّ حركاته وسكناته وقيامه، ماذا يَحِلُّ به؟ يتمنى الأرض أن تَنشَقَّ وتبتلعَه.